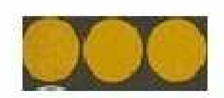
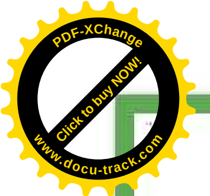
دراسة نفسية لشخصية المتنبي
من خلال شعره

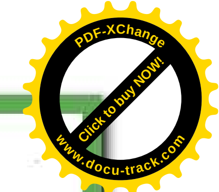


اعداد ياسر ياسين حباب




البيداء للنشر بيروت





بسم الله الرحمن الرحيم

في إطار الخطة التي وضعتها دار البيداء للنشر الالكتروني في إحياء التراث العربي و الاسلامي من أدب و شعر و فكر فقد قررت ادارة الدار إخراج هذا الكتاب الجميل و الذي تم نشره على شكل دراسة في مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد عام 1990 العدد 37 ،

و تأليف :

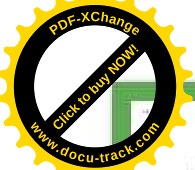
د· عبد علي الحسماني

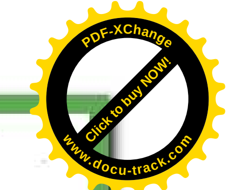
عبدالخالق نجم

و تتقدم ادارة الدار الى الاستاذ ياسر ياسين حباب على الجهود التي بذلها من أجل تحويل هذا العمل الى كتاب الكتروني في متناول القارىء العربي و خاصة أولئك الذين لديهم عشق خاص للشاعر الكبير المتنبي و شخصيته و انتاجه الفكري ،، و الله المستعان..

دار البيداء للنشر الالكتروني
بيروت 2013
albaydaa.publ@yahoo.com







دراسة نفسية

لشخصية المتنبي من خلال شعره

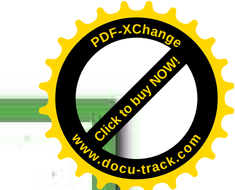
د. عبد علي الحسماني   عبدالخالق نجم

جامعة بغـداد

الموضوع واهميته :

ان القيمة الفنية أو الادبية للاديب ولما ينتج من ادب تتمثل في مقدار ابداعه . وان علم النفس ليعنى عناية خاصة بدراسة العمليات النفسية عند الاديب ، ما دامت النفس البشرية هي المفازه التي تتكون فيها مختلف مبدعات العلم والفن . وان الباحث النفساني يتوخى ان يفسر طريقة تكون العمل الفني وهو في الوقت ذاته يرمي الى ان يكشف عـن العوامل التي تجعل من شخص معين اديبا أو شاعرا مبدعا . فالتحليل النفسي الذي تجده في آثار الادباء والشعراء وعلماء الاخلاق هو تحليل مفعم بالملاحظات الصحيحة والايضاحات الدقيقة . ولكن ينبغي ان يعززه في البرهان قوانين يقينية مستقاة من نوابض النفس بوصفها اصدق في (الافصاح عن ذاتها . وينبغي ان يعد ما يبدعه الشاعر أو الاديب نموذجا تتمثل به نوازعه المراد اثباتها . فكل اثر ادبي انما هو مصور جميل لحالة نفسية ، لا بل هو مصدر شخصي تتكشف فيه دواخل الشاعر أو الاديب . فالسايكولوجيا الادبية انما هي عملية ذاتية وموضوعية في آن واحد ذلك لان غاية التحليل الذي تستند اليه ليست استنباط المعاني البسيطة المجردة التي تتالف منها النفس ، وانما هي ابراز حالاتها المشخصة الكثيرة العدد . وهي في

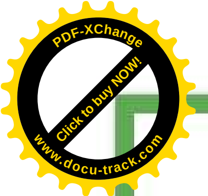
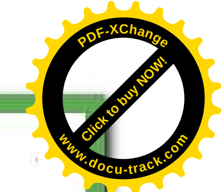




الوقت نفسه جزئية شخصية ، بالاضافة الى كونها كلية عامة ، لان الاديب الذي يصور الظواهر النفسية فيما ينظم شعرا أو فيما يكتب من قصص وروايات لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون بمنأى عن تفاعلات الحياة ، ولا قيمة لتحليل المختص بعلم النفس لآثار الاديب من الوجهة الادبية الا اذا نسب ما ابدع من حالات نفسية عامة الى شخص بعينه . فقصائد المتنبي تتمثل للقارىء بثوب الحياة المتعدد الالوان وجمال شعره يتجلى في المحافظة على ألوان مشخصة في ابداعه .

فغاية الاديب انما هي تحقيق الجمال فضلا عن اظهار نوازع النفس وكل من المحلل النفساني لاثار الاديب والاديب وما ابدع انما يمثلان وحدة متكاملة . وان علم النفس لا يكتفي بالحدس الشخصي بل يعتمد على التحليل الحقيقي وصولا الى العناصر التي تجلت وحدات كلية فيما ابدعه الشاعر أو الاديب .

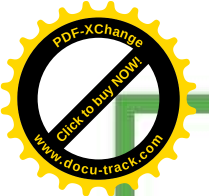
ولهذا فان المختص بعلم النفس يهتم بمعالجة مهمات شتى ولكنه في هذا المضمار قد يوجه عنايته الى مهمتين منفصلتين متمايزتين ، فضلا عن انه معني بالتعرض لهما بطريقتين مختلفتين اختلافا جوهريا ، وهذا جانب اشار اليه « يونج »(١) . والمسألتان اللتان يتصدى لهما المختص بعلم النفس ، هما ما الذي يجعل الاديب اديبا ؟ وما الذي يجعل الشاعر شاعرا ؟ وان كان عملهما متكاملا ولكن المواهب بين الناس تتفاوت وهذه من مهمات علم النفس ايضا . ويؤكد « يونج » و « ادلر » على سبيل المثال : ان العوامل الشخصية تؤثر في الشاعر تأثيرا كبيرا من ناحية اختياره لمادة نفسه الشعرية . ومما يكاد يجمع عليه النفسانيون هو ان الحرمان والالم ينشطان الموهبة ، ادبية كانت أو شعرية أو فنية . اذ ان الشاعر مثلا يعوض نفسه بشاعريته مما حرمته الحياة . ونحن حين نقرأ عن حياة المتنبي ندرك مقدار المعاناة التي قاساها جراء الاعراض عن مكانته واهميته

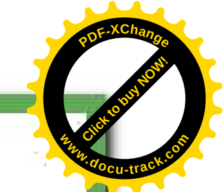



المتألقة . ولهذا فهو قد عوض عن ذلك بنشاط اجتماعي وهذا النشاط هو من ابداعه الذي قدمه للحياة الاجتماعية ، فضلا عن كونه صادرا عن ذات تغنت بنفسها وبأمجادها وابداعها . وقد عبر المتنبي عن قابلياته الحسية والعقلية تعبيرا يستحوذ على الاهتمام ويستأثر بالانتباه . فهو تسامى في شعره أحيانا وعبر عن اعتداد بالنفس في مواقف واعرب عن تلاؤم مع الحياة في مواطن وتشكى من جور الحياة في مظان واوضح شيئا من النرجسية في بعض مواقف الحياة ، حتى كان يبدو « متكبرا ، شجاعا مغامرا »(٣) . ولا ينكر ان قوة شعره وقوة شخصيته انما ينعكسان في القوة الابداعية التي طاوعته فوظفها بحيث راح يؤكد ذاته بألفاظ تمتاح من ينبوع عبقريته . وان علم النفس قد كشف لنا الى حد بعيد عن العلاقة بين شخصية الاديب أو الكاتب أو الشاعر وبين آثاره . وشعر المتنبي مرقاب بوسعنا ان ننظر من خلالها الى حقيقة واقع شخصية المتنبي .

وكان العقاد قد اشار الى ذلك حديث قال : (الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق ان يعرف لان كلام الشاعر هو الصلة الكبرى التي بيننا وبينه وان لم يكن هذا الكلام معبرا عن نفسه . واصفا لها ممثلا لشعورها فليس هو بطائل . وان كان معبرا عن النفس مستجمعا لصفاتها واطوارها فهو حسبنا من معرفة بالشاعر وترجمة لحياته ، لا يزيد عليها التاريخ الا من قبيل التفصيل والتفسير ، أو من قبيل الحشو والفضول)(٤) . وكلام العقاد هذا كان قد مهد به الى رأي له عن المتنبي ويناقش فيه رأي الدكتور طه حسين في كتابه الموسوم (مع المتنبي)(٥) . ولكن مدخل كل من الاديبين الى المتنبي ومكانته الشعرية والادبية الرحيبة ، هو مدخل من وجهة نظر ادبية خالصة . والمتنبي بوصفه « مالئ الدنيا وشاغل الناس » قد تناوله كثيرون بالبحث والنقد تاريخيا وادبيا ولغويا .

ولكن بحثنا في هذه الصفحات سينصب على شخصية المتنبي من





زاوية نفسية تحليلية استقراءا من شعره وهذا يسمح لنا بولوج براحات آفاقه الشعرية ومعطيات حالاته النفسية ومرامي متسامقات خيالاته الذهنية والفكرية اتكاءا على منظومه الشعري المنسلك في عقود نضيده · اذ ان اهمية دراسة المتنبي من زاوية نفسية تنبجس من اهمية الشاعر نفسه ·

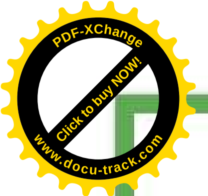
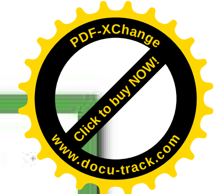
ولهذا فان نتاجات السلوك الابداعي ان تكون موضوعا للدراسة وبعد الحكم على نتاج معين بانه (ابداعي) يمكن اطلاق هذه الصفة عليه وعلى السلوك الذي ابدعه · وهنا نكون بصدد التطبيق العملي للمبدع ولما ابدع ، وما من احد يشك في جدوى هذا الاتجاه النفسي · واننا لنقرأ في شعر المتنبي ما نسميه في علم النفس بـ (المرونة التلقائية) من حيث تسمية الاشياء واستجلاب الاهتمام والقدرة الابداعية واطلاق الشحنات الانفعالية واثراء اللغة والاصالة · والقدرة التلقائية هنا تتمثل في استعداد المتنبي على امتياح افكار متجددة مع محاولة التخلص من القصور الذاتي الذي يحول احيانا دون انطلاق الشاعر أو الاديب أو الفنان · وهنا نجد سمات شخصية المتنبي متمثلة مجسمة في شعره فالمتنبي ما امتلك ناصية الشهر لو لم يكن ظاهرة فريدة في بابه ، واستثناء متفردا في شخصيته وفكره ولبابه ·

هدف البحث :

يرمي الباحثان في هذا البحث الى الكشف عن بعض جوانب شخصية المتنبي استقراءا من شعره ، استهداءا بمعطيات علم النفس تحليلا واستنباطاً ·

حدود البحث :

اجريت هذه الدراسة ضمن اطار شعر المتنبي وقد استعان الباحثان

في هذا البحث بقراءة مستأنية لديوان المتنبي وما تناوله بعض الشراح بالدرس والتفسير امثال ابن جني ، وابرقوقي ، اليازجي (انظر الهوامش) ٠

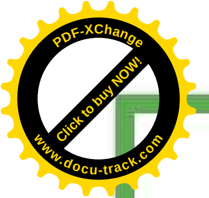
وان كان ثمة اختلاف بين الشراح المذكورين حول بعض المفردات في شعر المتنبي ، ولنتمثل على سبيل الحصر لا الاطلاق ، اذ نجد اليازجي يذكر « لم يجد فوق نفسه من مزيد » في حين ان البرقوقي يذكر « ٠٠٠ لم يجد فوق نفسه من فريد » ٠ وفي موضع آخر يذكر البرقوقي « وما الدهر الا من رواة قلائدي ٠٠ » الا ان اليازجي يذكر « وما الدهر الا من رواة قصائدي ٠٠٠ » ٠ وان هذا الاختلاف لا يمس بحثنا بشيء ولا يدخل ضمن اختصاصه ٠

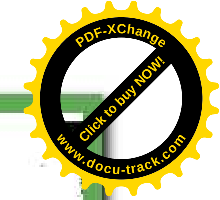
عينة البحث :

اقتصرت عينة البحث على ديوان المتنبي واراء بعض الشراح والنقاد كما مر ذلك في حدود البحث ٠

دراسة الموضوع نفسيا :

حفلت حياة المتنبي منذ صباه بعوامل أثرت في شخصيته تأثيرا اضحى واضحا فيما ابدع من شعر ٠ ولتربيته الاولى عند المتتبع لشخصية المتنبي ككل جعلت شعره لا يتخذ صيغة متواترة واحدة ، ولعل التنوع في شعره اضفى عليه عنصر التشويق بعيدا عن الرتابة ٠ وان قراءة شعر المتنبي لتدعو الى التدبر والروية ومراجعة القراءة ٠ واننا لنجد جوانب نفسية كثيرة مبثوثة في شعره تحكي نوازع نفسه الطموحة المتطلعة الى مراقي الحياة ٠ اذ نجد شعره مليئا بالحب والبغض وتعشق الحرية والمديح والرثاء والهجاء ٠ ولكن النزعة الوجدانية تشغل حيزا فسيحا في منظومة المكتنز بالمعاني التي تنضح تبرما بالحياة أو توجعا من آلام مبرحة





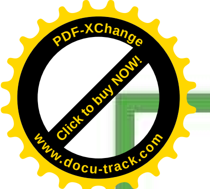
يقاسيها تيقناً منه بان له مكانة مرموقة تغافل عنها اناس كان يتمنى في قرارة نفسه لو انهم أقروا بها ليستيقن بانه لم يبخسه احد قدره في نفسه. وانه ليألم أشد الألم ويمضه أقوى المضاضة اذ يمتحن حدود بيئته التي يسعى في جنباتها فلا يرى هناك من يقر له بحق هو به حقيق . ولهذا فانه اكثر في شعره من التوكيد على نوازع نفسية بواعثها حصيلة تفاعل نفسي وتربوي واجتماعي كونته مؤثرات بيئية مختلفة . اذ انه قد تقلب في دنياه في بيئات طبيعية ومادية وبشرية تفاوتت مكوناتها فانعكست اثارها عليه على نحو شعوري أو لا شعوري . وحسبنا ان نتناول في هذا السياق بعض الجوانب النفسية التي طفح بها شعره منها مثلا :

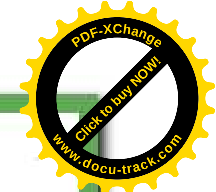
الاعتداد بالنفس :

ان ادبيات علم(١٠) تشير الى ان التمييز بين

الاعتداد بالنفس	Sclf-Pride
وتأكيد الذات	Self-assertion
والغـــــرور	Vanity
واحترام الذات	Self-respect
واجلال الذات	Self-reverence
والشـــــرف	Honour
والصـــــلف	egotoicism errogance

وسنتحدث عن بعض هذه الجوانب في مواطنها المناسبة حيثما اقتضت الضرورة ذلك ، ولكن ما يعنينا من المقال في هذا المجال هو الحديث عن الاعتداد بالنفس كما هو موشى في منظوم المتنبي . والاعتداد بالنفس يطلق على شكل من اشكال ترجيح الذات لدى المتكلم وتجعل المتحدث عن نفسه معتداً بها اعتداداً يتصل بطراز الشخصية . ذلك ان هناك طرزاً





متفاوتة ومختلفة للشخصية ، ولكن يجدر التأكيد هنا على طرازين اساسين هما طراز المستقبل وطراز المنشيء · والطراز المستقبل هو الطراز الذي يتأثر دائما وقد لا يكون مبدعا · اما الطراز المنشيء فأنه يعتد بنفسه وقد يتقبل التأثر ولكنه يحاول ان يضفي الاعتداد على البيئة · وقد وجد نتيجة للبحث النفسي المستقصي ان الاعتداد بالنفس هو ادعى الى الظهور وبشكل اوضح لدى الطراز المنشيء · وحينما نقرأ شعر المتنبي نجد ان الاعتداد بالنفس واضح المعالم ومحدد الملامح كقوله مثلا :

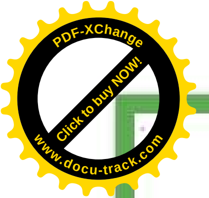
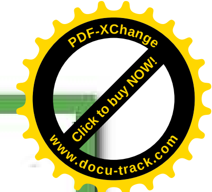
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي

انا ترب الندى ورب القوافي
وسمام العدى وغيظ الحسود

انا في أمة تداركها اللـ
ـه غريب كصالح في ثمود

يستبين المرء من الأبيات الثلاثة الانفة قوة في الشخصية ترتكز الى اعتداد قد تأتى من نوازل الزمان التي احاقت بشاعرنا فوجد نفسه ازاء موقف تملي عليه ان ينبري للتذكير بانه عصامي في التكوين ، وانه حين يعقد بنفسه انما يبتغي اضفاء هذا الاعتداد على ذويه · وهذا يكسبه استشعارا مضاعفا من حيث القوة والتوجه والعطاء وتخطي عوائق الحياة ، بخلاف من يفاخر بجدود ولا يقتحم صعائب دنياه · اذ قد يفخر المرء بماضيه من جهة الجدود والاباء ولكنه يكون قعدداً وفي هذه الحالة لا يأبه به أحد · بيد ان المتنبي اراد في شعره ان يظهر على من كان يماريه · ولنقرأ قوله الاتي :



ولو برز الزمان الي شخصا

لخضب شعر مفرقه حسامي

وما بلغت مشيتنها الليالي

ولا سارت وفي يدها زمامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني

فويل في التيقظ والمنام

ان المتتبع لشعر المتنبي ينبغي ان لا يكتفي بظواهر اللفظ عنده ، بل عليه ان يستقرأ ما تمور بـه نفسه منعكسة في منظوم نضيد ينضح بنفس تواقة الى المجد والى اغتراف اعتراف الناس به انى حل وحيثما ارتحل . فأننا نستقرأ هذا من قوله في الأبيات التالية :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد

لكان أباك الضخم كونك لي أما

وما الجمع بين الماء والنار في يدي

بأصعب من أنأجمع الجد والفهما

كذا أنا يا دنيا اذا شئت فاذهبي

ويا نفس زيدي فيكرائهها قدما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني

ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

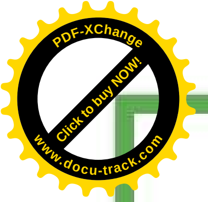
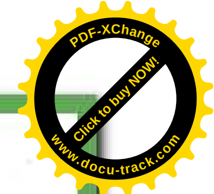
وكذلك قوله :

يستعظمون أبياتا نأمت بها

لا تحسدن على أن ينام الأسدا

لو أن ثم قلوبا يعقلون بها

أنساهم الذعر مما تحتها الحسدا

وكذلك قوله :

فلا أحارب مدفوعا الى جدر
ولا اصالح مغرورا على دخن

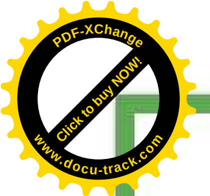
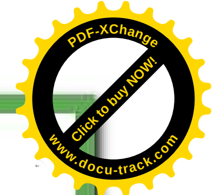
وكذلك قوله :

ان ترمني نكبات الدهر عن كثب
ترم امرأ غير رعديد ولا نكس

فاعتداد المتنبي بنفسه ينطوي على الصورة الكلية – حسب رأي مدرسة « الهيئة » الجشطالت • في علم النفس – لشخصيته بتكوينها الكلي فهي تحمل في ثناياها تفاصيل شتى يمكن للباحث النفساني ان ينفذ من خلالها الى عالم المتنبي الداخلي والخارجي • وان مدرسة علم نفس الهيئة ترفدها مدرسة التحليل النفسي بصدد الصورة التي ينظر الانسان من خلالها الى نفسه • اذ قد يقيم الفرد نفسه اكثر مما ينبغي وفي هذه الحالة قد تبعده هذه النظرة عن عالم الواقع وربما ينظر الى ذاته نظرة دونية فيقصر به الشوط عن ان يكون نافعا في المجتمع وفي الحالين نطرف يحمل صاحبه على الشطط في السلوك والتصرف •

ولعل أخص الخصائص من وجهة نظر علم النفس هو ان يكون الانسان متوازنا مع ذاته ومع بيئته « أن (الرأي) ينسجم مع الصورة التي يكونها الفرد عن العالم ويحدد تفكيره وعاطفته وارادته ونشاطه »(١١) ولنا مثل في ذلك من شعر المتنبي نفسه كما في الابيات التالية :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا
بيتاً ولكني الهزبر الباسل
ما نال أهل الجاهلية كلهم
شعري ولا سمعت بسحري بابل

واذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

وكذلك قوله :

أذاقني زمني بلوى شرقت بها
لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

وان عمرت جعلت الحرب والدة
والسمهري أخـاً والمشرفي أبا

وكذلك قوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

وجاهل مده في جهله ضحكي
حتى أتته يـد فراسة وفـم

وكذلك قوله :

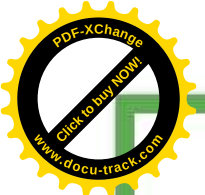
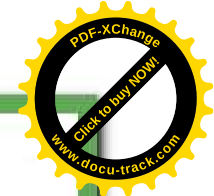
وأمضي كما يمضي السنان لطيتي
واطوي كما تطوى المجلحة العقد

وقوله :

وفؤادي من الملوك وان كا
ن لساني يرى من الشعراء

وقوله :

وكم من جبال جبت تشهد أنني ال
جبال وبحر شاهد أنني البحر

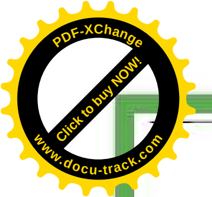
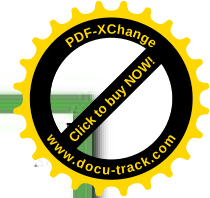
الاعتداد بالنفس في شعر المتنبي صورة حسية ولفظية تعكس اركانا مهمة من اركان شخصية المتنبي اذ انه يتبدى لنفسه من خلال رغبته في ان يراه الاخرون كما يشاء هو اولا ، ومن حيث تصورنا لحكم الاخرين عليه استنباطا من شعره هو ثانيا ، وان اعتداده بالنفس لاشك انه حاجة نفسية تبعث في حنايا ذاته شعورا بالزهو ثالثا . وان الحاجة الى احساس الانسان بأن يكون شيئا مذكورا في حياته يتباين فيه الافراد اذ يمتد بين الحالات المقبولة ويتواصل حتى يبلغ درجة الصلف ، ولكن المتنبي كان بعيدا عن صفة الصلف هذه اذ لو كان في شخصيته شيء منها لما احتل في مجالسته الامراء والقادة في زمانهم . وتاريخ الادب يتضمن شيئا كثيرا من هذا . واعتداد المتنبي بنفسه كان يدفعه شعوريا أو لا شعوريا الى ان يرى نفسه منعكسة على (مرآة المجتمع) كما يذكر علم النفس الاجتماعي واننا لنرى نمط (الشخصية المنوالية) متمثلة في اعتداد المتنبي بذاته .

ان اعتداد المتنبي بنفسه يعزى الى احساس امريء عرف قدر نفسه فهو بقدر اعتزازه بنسبه لم يشأ ان يرتكن تواكلا على محتد مؤثل بل أنه أراد لنفسه ان يثبت كينونة وجودة بعقله وجده وقوة بأسه في مقارعة خطوب الحياة وهذا شأن من يصنع تاريخ مجده بعصاميته . وان من كان هذا منهجه في الحياة فأنه يكون بمنأى عن الصلف والغرور الخادعين واذا كان هناك في شعره ما ينبيء بانه شيء من غرور فانه يرقى الى مرقاة الاعتزاز بالذات ولا ينسلك في منظومة الغرور القائم على التبجح المتهالك . فشعره في هذه الحالة ينطوي على الم مكظوم سلكه في عقد منظوم يتوجع فيه على حق من حقوقه مهضوم . ولعل الباحث يلتمس له المعاذير لما لحقه من غمط اصابه في صميم الكرامة . ومثل المتنبي قمين بأن ينتفض شعرا هو كالقسي والنبال .

النرجسية في شعر المتنبي :

تتحدث ادبيات علم النفس عن النرجسية على وفاق الشمول وتبيان



ما يكتنف مصطلح (النرجسية narcissin) ، بحيث يتسنى للباحث المتأني ان يحيط — بقدر المستطاع — احاطة تنطوي على الابتعاد عن التغرض وعن النزعة الذاتية فيما ينتوي بحثه . فالنرجسية تعرف احيانا بانها : حب الذات ، أو المغالات في حب الذات . وتتبدى النرجسية في مرحلة مبكرة من مراحل النمو النفسي وتتسم بالاهتمام بالنفس وتناقص الاهتمام بمن يحيطون بالفرد(١٢) الذي تأخذ الفرد بناصيته . ولعلها تستحوذ احيانا على حياة فرد ما فتكتسب صفة (التثبيت Fixation) ، وعند ذاك يأخذ حب الذات بحياة الفرد من جميع اقطارها فيغدو لا يرى الا ما يتصل بحياته حبا منه لفرديته . بيد أن من النرجسية ما يمكن ان يطلق عليه النرجسية الصحية ، وتقترن هذه باحترام الذات والترفع عما يزري بالنفس وهذا جانب نراه ونجده واضحا في شعر المتنبي كقوله :

قضاعة تعلم أني الفتى الـ
ـذي آدخرت لصروف الزمان
على أن كـل كريم يمـان

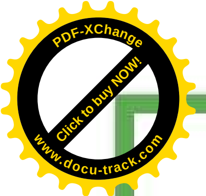
أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء
انا ابن الضراب انا ابن الطعان

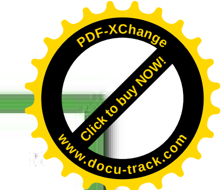
انا ابن الفيـافي انا ابن القـوافي
انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العمـاد
طويل القنـاة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ
حديد الحسام حديد الجنان

ومجـــدي يدل بني خنـــدف





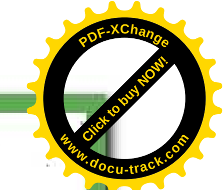
يسابق سيفي منــــايا العباد
اليهـــم كأنهما في رهـــان
يرى حـــده غامضات القلوب
اذا كنت في هبوة لا أراني
سأجعله حكمــــاً في النفوس
ولو ناب عنه لساني كفاني

وقال أيضا :

أي محــــــل أرتقـــــي
أي عظيـــــم أتقـــــي
وكـــل ما قـــد خلـــق
الله ومـــا لـــم يخلـــق
محتقـــــر في همتـــــي
كشـــعرة فـــي مفـــرقي

فنرجسية المتنبي ذاتية النزعة وليست في عداد النرجسية المرضية التي يشير اليها التحليل النفسي حينما يحاول ان يركز على الاستثناءات دون الالتفات الى المواقف العامة في دنيا الاناسي وهم يخطرون في رحاب المجتمع . ويجدر في هذا السياق ان نميز بين ما هناك من نرجسية اولية ونرجسية ثانوية تطبيقا لسياقات التحليل النفسي ، ففي النرجسية الاولية مثلا تكون الطاقة النفسية المفعمة بشحنات التكوين المزاجي المتضمن في التركيب الفسلجي للمرء موجهة نحو الذات من حيث التركيز ، اذ يثبت الليبيد ونحو ذاتية المرء فتنأى به مع كر الأيام وتواصل النمو البايولوجي عن التفاعل الاجتماعي كما ينبغي . بينما في النرجسية الثانوية يكون حب الذات مكتسبا شيئا من التوجيه الارادي والتربوي والاجتماعي فينزع المرء نزوعا اجتماعيا وذلك عن طريق الاستدماج . وتعزيزا لهذا نتمثل بقول





شاعرنا نفسه :

وكيف لا يحسد امرؤ علم
له على كل هامة قدم

وقوله :

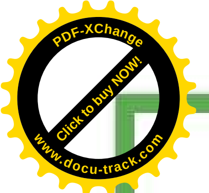
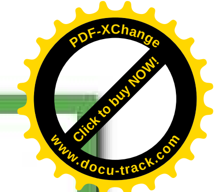
أمط عنك تشبيهي بما وكأنه
فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

وقوله :

اني أنا الذهب المعروف مخبره
يزيد في السبك للدينار دينارا

وهذا مما يسمح لنا بان نتكلم عن المتنبي بأن نرجسيته من الضرب الموضوعي ، اذ ان الطاقة الحيوية (الليبيدو) تنفصل عن مواضيعها في الواقع ، وبعبارة أخرى ان الفرد لا يتمكن من التوجه نفسيا الى موضوع خارجي حيث ان الليبيدو يبقى معلقا بين الموضوع الخارجي وذات الفرد الا انه في نهاية المطاف يرتد الى مصدره الذي يرتبط به وهو الذات (الانا) ، وهذا (الليبيدو الأنوي) ما يطلق عليه في التحليل النفسي (الليبيدو النرجسي) تمييزا له عن الليبيدو الموضوعي(١٣) ·

وتجدر الاشارة هنا الى حب الذات الثانوي ، فهذا الاخير يمكن ان يكون ستارا من الواقع يستطيع الفرد بواسطته رفض الـ (هم) او (الغير) · كما يمكن ان يكون حب الذات الثانوي محصلة انجازات حقيقية للفرد في حياته ، ويكون مصحوبا باحساس لا شعوري باحترام الذات ، ولا ينسب الى مثل هذه الحالة شيء من الشذوذ أو السلبية · ولكن يمكننا ان نلمس السلبية اذا كان الفرد موغلا في النرجسية ، فهو

يفقد شحنات المحبة عنده تكون من النوع الواهي ، أو انه يحب شخصا ولكن تحت شروط طفولية(١٣) • ومن هنا يمكن القول بان نرجسية المتنبي من النوع الطبيعي بدليل انه احب اباه واحب امه وجدته واصله واصدقاءه •• ولغته والطبيعة وجمال الحياة ••• الخ • والأبيات التالية تعكس نرجسية المتنبي :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

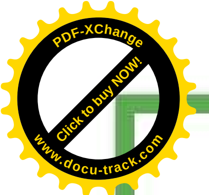
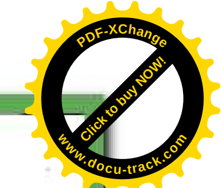
وكذلك قوله :

ان أكن معجباً فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

فالوقوف عند المتنبي يعني العجز ، ولهذا فأنه يتمرد على الحجز لكي ينقذ ذاته من الركود الميت ترفعا بها عما قد يشينها ولكي يصلها بالمستحيل • اذ انه يجعل من المصاولة لخطوب الحياة مهدا للمستقبل المستشرف •

فنرجسية المتنبي ليست مما ينال من مكانته الشعرية ولا يمكن أن تضاءل من براعته الفنية • اذ ان ابداعية المتنبي صرح خالد تتكسر عليه عواتي التخرصات التي قد يحاول احيانا بعض حاسديه ان يتدرع بها للافتئات على صولاته الشعرية المعززة لسمو نفسه واثر شعره في الادب العربي • وان نرجسيته لهي طبيعة فنية للموهبة التي تحكي ابداعا قصديا متماسكا بعيدا عن الابداع العرضي الذي تتهافت مكوناته امام



النقد ، فالمتنبي مثلا قد تجلت عبقريته في التنظيم النفسي لما يتوخى قوله في المواطن المناسبة .

الارادة والتصميم في شعر المتنبي :

الفعل الارادي will - act من وجهة نظر نفسية يعد تأكيدا لاشباع دافع تأكيد الذات ، وينطوي على مغزى السلوك الخارجي الذي ينم عما يعتمل داخل الذات . والارادة تنشأ مع الفرد عادة متفاعلة مع طموحه ومع عزمه ومع ما ينزع من قرار وكل هذا ينسلك في سياق الاسباب التي تنشأ في بيئة الفرد منذ نشأته فيغدو متطلعا الى افاق في الحياة عراض . وغالبا ما تكون الدوافع التي تهمز الفرد الى ان ينزع نزعة يجسم فيها اركان اعتبار الذات كما يكون قد استقاها من منبع ارومته . والمتنبي واحد من هؤلاء الذين تنبأ اثارهم بان بهم توقانا مشبوبا الى ان يستلفت الاهتمام الى رفعته الاجتماعية التي احرزها بفضل جهاده واجتهاده . وان هذا هو شأن المتنبي . فلنقرأ مثلا قوله :

ولكن قلبا بين جنبي ماله
مدى ينتهي بي في مراد أحده

يرى جسمه شفوفا تربه
فيختار ان يكسى درعا تهده

وأني اذا باشرت أمرا أريده
تدانت أقاصيه وهان أشده

فالارادة هنا مشبعة بالحزم والعزم والتصدي لخطوب الزمان الذي يتطلب فعالية انسانية ذات اواليات ـ ميكانزمات ـ متعددة الجوانب يشد بعضها ازر بعض وكلها مفعمة بالارادة ، والارادة في هذا المضمار



ومن احد تعريفاتها هي : عمل موجه نحو غاية حافلة بالتسامي والنزوع الى السمو • وارادة المتنبي في هذا المجال هي ارادة القوة في الشخصية وفي المقصد وهي ارادة الحياة ولا تخرج عن سمة الاخلاق • وفي علم النفس الذي يهتم بموضوع الارادة والاخلاق نجد ما يشير الى ان فعل الانسان الذي يسعى فيه الى خير لذاته ولحياته ولمكانتــه الاجتماعية ولمجتمعه ، ينطوي على كل ما يسمو بالانسان وكل ما يشيع في ثنايا نفسه شعورا فتتجلى ارادة القوة في نفسه ، فيرى نفسه متمثلة سلوكا ملحوظا أو ملفوظا واليك هنا قول المتنبي :

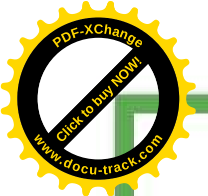
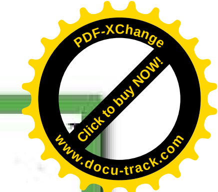
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيــدا وما قولي كذا ومعي العبر

وأشجع مني كـل يوم سلامتي
وما ثبتت الا وفي نفسها أمــر

تمرست بالآفات حتى تركتهــا
تقول أمات الموت ام ذعر الذعر

وأقدمت اقدام الاتي كأن لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

واني امتزجت الارادة بالاخلاق ، وتفاعلت الاخلاق مع الارادة في مسيرة الانسان الحياتية فانها لا تزري بصاحبها حين تهمس في جنباته نياته النزاعة الى اثبات وجوده وهو له حق منحته اياه الحياة • والحياة السامية تحدو بصاحبها الى ان يلج منافذ دنياه حتى من اضيق ابوابها كي يجتني الوجود اسمى ما فيه عندما ينشد حقا له مشروعا • ولنا ان تتمثل هنا بقول المتنبي عن نفسه :

ان نيوب الزمـان تعـرفني
أنا الذي طال عجمها عودي
وفي ما قارع الخطـوب وما
آنسني بالمصـائب السـود

وكذلك قوله :

أبداً أقطـع البـلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود

وكذلك قوله :

كأني دحرت الارض من خبرتي بها
كأن بنى الاسكندر السد من عزمي

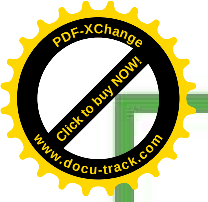
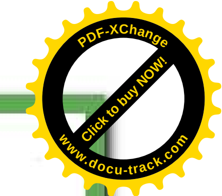
وكذلك قوله :

قد هون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشـن

فالتصميم في الابيات الخمسة آنفة الذكر بائن عند المتنبي وغايته الانسانية هي خلق انسانيته وتحديد معالمها امام الاخرين وكأنه يريد ان يقول لهم أن من أولى غايات الوجود الانساني ان يكون ذا ارادة متبصرة وتصميم يرتقي به الى ما يسمو بشخصيته تأكيدا لارادته وتحقيقا لذاته ٠ ولنا هنا ان نتمثل بقوله :

يحاذرني حتفي كأني حتفه
وتنكزني الأفعى فيقتلها سمي
طوال الردينيات يقصفها دمي
وبيض السريجيات يقطعها لحمي



وقـولـه :

ومرهف سرت بين الجحفلين به
حتى ضربت وموج المـوت يلتطم
الخيل والليل والبداء تعرفني
والسيف وانرمح والقرطاسى والقلم

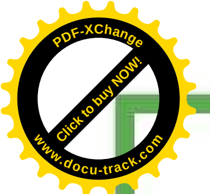
وقـولـه :

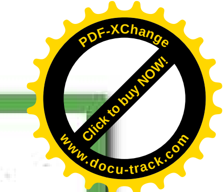
تحقر عندي همتي كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاول
وما زلت طـودا لا تزول مناكبي
الى أن بدت للضيم في زلازل
فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا
قلاقل عيس كلهـــن قـلاقل

وقـولـه :

الي لعمـري قصـد كل عجيبـة
كأني عجيب في عيـوب العجائب

فالمتنبي في الابيات الانفة يجرد من ذاته ذاتا اخـرى تلاحظ الذات الداخلية عنده فتكون (الانا) هنا هي المضمار الذي ينبغي ان ينصب عليه اهتمام الباحث في شعر المتنبي بصورة عامة ومن ينقب في ثناياه عن ارادته الصلبة بصورة خاصة . وان من يقرأ شعر المتنبي بحثا عن العزم والتصميم وقوة الارادة ليتراءى له (التداعي الطليق) في شعره ينثال انثيالا فيسطر بنات أفكاره في عقود يحار من يتملاها ايها يختار وايها يستثني . وان المختص بعلم النفس حين يقرأ شعر المتنبي يقف على حقائق الوشائج الوطيدة بين (الهذا) أو (الهو) أو (الهي) المتاصلة في رواسخ ذاته من



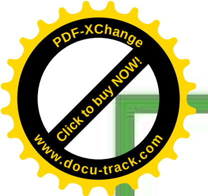
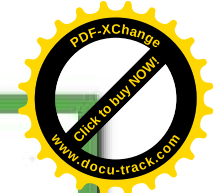


جهة وبين (اناه العليا) من جهة أخرى ، وفي ما بين هذين النسقين من جبلته بحدودها المرسومة تتجلى المعالم الادراكية الخاصة بهذا الشاعر العلم ·

اتهام المتنبي بالغرور :

الغرور في علم النفس ، رضا عن الذات مبالغ فيه ، في الوقت الذي لا يملك الفرد من المقومات ما يجعله على ان يرى ذاته أكبر مما هي عليه في واقعها الحقيقي · ولعل الفرد يكون مدفوعا بدوافع لا شعورية الى ان يعوض عن قصور يحسه في دواخل نفسه · وانه في الغالب ليمثل احساسا بالذات يتجاوز فيه صاحبه المألوف فيبلغ مبلغ التطرف وهذا يتكون في واقعه من عناصر ترسبت في أعماق النفس فكونت متراكمات لا شعورية تتبدى في السلوك على صورة تصرف يجانق المألوف ويجانب جادة القيم والصواب بصورة مغالى فيها ، وكثيرا ما يكون هذا تعبيرا عن مشاعر تنم عن شعور بالقصور · وتدل على ضعف في ثنايا شخصية الشخص الذي تنساب هذه الجوانب الى ثنايا تكوينه الشخصي ، فتتسربل شخصية الشخص بخصال وسمات لا يسيغها الذوق · ان مكونات الغرور تنشيء عن تداخل يشمل الجوانب الفطرية عند الفرد والتنشئة التربوية والاجتماعية · ففي الغرور اذاً يكمن تحبيذ الذات وترجيح كفتها · فان حصل ترجيح يبلغ حد المغالاة التي تنحدر الى مهاوي الصلف فيكاد يختلط الغرور بالصلف ما ينفر الناس من الفرد الذي تتمثل فيه مظاهر الغرور ، الذي تتلاشى فيه الفواصل بينه وبين الصلف ·

بيد ان ما يرمي به المتنبي احيانا من غرور يستشفه القارئون في بعض قصائده لا يمكن بحال من الاحوال ان يحسب من نوع الغرور الذي تتمثل فيه خصله السماجة · وان غرور المتنبي هو غرور شخص اخنى عليه الدهر بكلكله فناءت نفسه بأثقال الهموم · اذ وجد المتنبي نفسه في

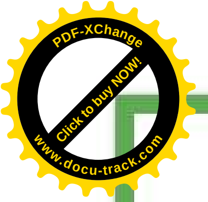
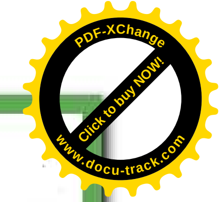



اوساط ارتحل فيها وضرب فيها بالتطواف واحس ان الزمن لم ينصفه وهو ـ كما يعرف الجميع ـ ذو النفس التواقة الى المجد ، فأراد ان يتحدى الزمان فجاء شعره يجاهر فيه التمرد على قسوة الحياة · فقوله مثلا :

وما أنا الا سمهري حملتــه
فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغني مغردا
أجزني اذا أنشدته شعرا فانمـا
بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

ان ما يتبيء من غير مواربة عن الطماح وعن رغبة جامحة في الاستئثار بانتباه كل من في عصر المتنبي ولم يقر لــه بفضل شاعريته وابداعيته ، فغروره اذن هو غرور بوجه ما يصاول به المصاولون وهو تحد لما ينكره المنكرون ويجاول به ما يرجف به المرجفون ويرد به على الكاشحين · فهو انسان قدر حق نفسه وهو يعلم في قرارة ذاته مقدار مكانته لدى الجمهرة من الناس ولكن ما كان يمرز ويرمض جوانح نفسه ، اذ لم يجد من يردد كثيرا صوت التمداح بحقه واننا لنستقرىء مبلغ مرارته في قوله :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل
وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

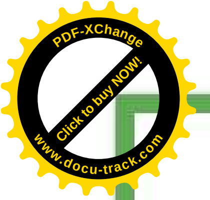
وأتعب من ناداك من لا تجيبه
وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم غير أنني
بغيض الي الجاهل المتعاقل

ثمة بين الباحثين والمفكرين – ومنهم العقاد مثلا – من يجعل بين الغرور والامل وشيجة ويجعلها صنوين بل توأمين ، فالعقاد مثلا يقول : « لولا الغرور لما كان امل ، ولولا الامل ما كان غرور وقد يمر الانسان بما يأمل الانسان لانه مغرور بنفسه ولا يزال ينطلق مع الامل الى المقام الذي يرضيه(١٥) » . ورأي العقاد هنا ينطبق تمام الانطباق على مواقف المتنبي في الحياة ولاشك في ان الاختلاف بين كل من الغرور والامل هو اختلاف بين الطيشة والحصافة ، وهو الفرق بين الجهل والعلم . ولا يتمارى اثنان في ان الغرور طيش وجهل وان المغرور يتحاشاه الناس ويتحاماه الذوق ، في حين ان الامل كله رصانة واحتشام واخلاص ونحن نعرف من خلال ما يذكره تاريخ الادب العربي عن المتنبي ومن قراءة شعره ان السمات الرصينة تكون سلوكيته وتوشي بافواف المحاق شخصيته ، فهو اذن ما ابعده عن الغرور . ولنا من قوله ما يعزز هذا الرأي اذ يقول :

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم
ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي
أنا الثريا وذان الشيب والهرم

وكذلك في قوله :

أرى المتشاعرين غروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا





ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

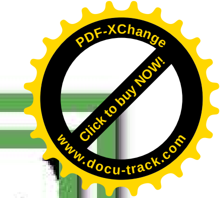
وقالوا هل يبلغك الثريا
فقلت نعم اذا شئت استغالا

وفي قوله أيضا :

ضاق ذرعا بأن أضيق به ذر
عا زماني واستكرمتني الكرام

واقفا تحت أخمصي قدر نفسي
واقفا تحت أخمصي الأنام

يستبين القاريء أن صاحب الغرور كثيرا ما يحاول ان يختصر الطريق على حساب كرامته وامتهان الوسيلة التي بها يتوصل الى هدف يراه موائما في عين نفسه ولكنه هدف غير محمود في اعين الناس ، والمتنبي بمفازه عن ان يرمى بالغرور فهو صاحب امل اذ انه لا يغالط نفسه في مقياس المعايير الانسانية ولاسيما حينما نعرف له مكانته في مجتمعه وبين قومه . وعلم النفس يؤكد حقيقة هي ان المغرور لا يتجاوز فيما يسعى اليه تخوم نفسه ، اما صاحب الامل فمراميه عراضا وتنطوي في ثناياه على حب الخير وحب الناس وحب الوطن وحب المجتمع وحب الحياة من غير ما شراهة أو تبدل . والمتنبي كان يعد نفسه صاحب رسالة شعرية اراد ان يرتقي بها عن طريق ارتقائه بذاته الى ذرى المجد الشعري والادبي(١٦). وكان به طموح يحفزه بهاميز التواصل الارتقائي لكي يجعل الابداع الشعري في المكانة التي ينبغي فيها منبر القريض اذ انه شاء ان ينتزع الاعجاب انتزاعا بجديته وابداعيته ، واذا كان لم يتحقق له كله في زمانه فحسبه ان يكون مطمحه قد تمكن من نفوس عارفي فضله غب اوانه .

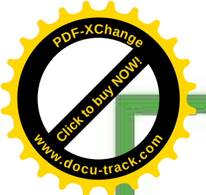
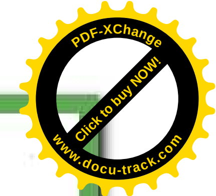



فماذا يتوقع المرء من شاعر في قمة الشاعرية والابداع كالمتنبي ، وهو الشخص الذي كان يعتقد في قرارة نفسه بانه مغموط الحق وانه منكور عليه الاعتراف كشاعر تسامى في شعره الى أعلى المراتب ؟ فهو في هذه الحالة لم يبق امامه الا ان يرسل بشعر ذخيرته الحية فيه الفاظ كالشواظ يرسلها للدلالة على مكانته من جهة وهي لنبصير من كانوا يريدون ان يلتونه حقه .

مناجاة النفس وندب الذات :

ان من يقرأ شعر المتنبي يكتشف فيه مادة غزيرة ما احرى المختصين بعلم النفس بان يعكفوا على دراستها ، لان المتنبي شاعر قد اغنى العربية بفنه الشعري المتعدد الجوانب . وان طبيعة العمل الشعري من حيث مكوناته وعناصر التأثير فيه هو ابداع وفن وهو مرآة اجتماعية في المستطاع الافادة منها في المعرفة النفسية وصولا الى جلائل الابداعات الفنية في شعر المتنبي .

وحين نتحدث عن التشكيل في الشعر يجدر ان لا يغرب عن الذهن التمييز بين فن الكلمة وموسيقاها وعن تصويرها ومغزاها . وان من يعنى بدراسة اللغة لا يغفل بحال من الاحوال حقيقته تكاد تكون بداءة الالمام الشامل تلك هي ان اللغة حقا اداة زمانية وهي في الوقت ذاته تصور المعطيات المكانية ، فدلالات الالفاظ في اللغة العربية ، بوصفها لغة مرنة يمكن ان تحمل في طياتها وفي تضاعيفها الدلالات الظاهرة والمستترة والشاعر حين ينظم الكلم انما يستبطن ذاته ويناجي وينادي بيئته وهو في هذا وذاك يناجي نفسه ، ولعله احيانا يندب ذاته . وان ندب الذات هو ان ينحي المرء على نفسه (باللائمة) . اذ تتوزع ذاته بين مناجاتها وكأنه يجرد من نفسه نفسا اخرى يحادثها بشأن افاعيل الزمان وصروف الحياة وبخاصة حينما تحول عوائق الدنيا فتصبح من عناصر الاحباط له اذ تحول

دون ما ينزع اليه من طموح ، ولكي يخفف آصار الاعباء التي ترزىء بها نفسه يناجي ذاته اذا ما حسب ان الصعائب ليست من قصور في جهده . ومناجاة المتنبي لنفسه تنتظم في هذا المضمار الرحيب فهو مثلا حين يقول :

أنا السابق الهادي الى ما اقوله
اذ القول قبل القائلين مقول
أعادي على ما يوجب الحب للفتى
وأهدأ والأفكار في تجول

وكذلك قوله :

فالموت اعذر لي والصبر اجمل بي
والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

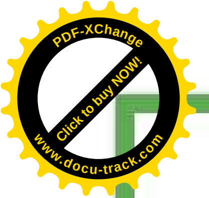
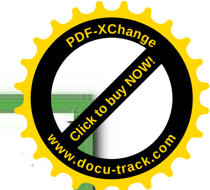
وبندب الذات تستكمل مناجاة النفس استحضار جيشان الروح والانفعالات الناجمة عن الموقف المثبط . وان المرء ليندب ذاته حين يحس في اعماقه احيانا بأنه لم يأل جهدا في جده واجتهاده في مسعاه بيد ان حظه من الفوز بمبتغاه قد قصر عن ادراك المبتغى . فالمتنبي يعكس هذا على شكل واضح في قوله :

ألح علي السقم حتى ألفته
ومل طبيبي جانبي والعوائد

أهم بشيء والليالي كأنها
تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله :



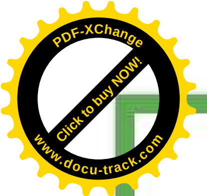
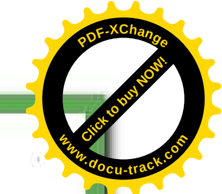
كأن الجو قاسى ما أقاسي
فصار سواده فيه شحوبا
كأن دجاه يجذبها سهادي
فليس تغيب الا أن يغيبا
أقلب فيه أجفاني كأني
أعد به على الدهر الذنوبا
عرفت نوائب الحدثان حتى
لو انتسبت لكنت لها نقيبا

فنظرته الى الحياة في الأبيات الآنفة تعكس مقدار اظلام ثنايا نفسه فعكسها شعرا يندب فيها ذاته ويتحسر على حياة لم ينل منها مرماه وهو الشاعر ذو النفس الأبية ، وكان يحسب ان مكانته الشعرية ستحله مكانا رفيعا . وندب الذات في هذا المجال لا تنفعل بها نفس الشاعر الا عندما تتارجح بين الصورة المحسوسة احساسا ادراكيا وبين التجريد المتزج بالخيال المحلق . والمتنبي يكاد يكون نسيج وحده في هذا الشأن اذ هو يتحسر على نفسه التي اضنتها روازح دنياه . فأستبطن نفسه وكانه يرى صورتها مجسمة بانسان هو المتنبي فوصفها :

روح تردد في مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال :

وشكيتي فقد السقام لأنه
قد كان لما كان لي أعضاء

فهيم الليالي أن تشكك ناقتي
صدري بها أفضى أم البيداء ؟

والمتنبي في قصيده يتوخى ــ كما اسلفنا ــ التشكيل الزماني والمكاني في شعره • اذ انه يجعل للمفردات الواقعة في المكان تكاد تكون ملموسة للحواس بحيث انه يشرك مع نفسه كل ما يحيط به ، حتى جواده الذي يقطع على ظهره الفيافي متجولا في المفاوز الشواسع بحثا عما عساه ان يرأب صدع نفسه التي تكاد تتمزق حسرة ولوعة ، والنفس المتأججة الملتهبة حين تضطرم فيهـا اللوعة فانهـا تبدع • فيكاد القارىء يراه وكانه شرر يتطاير ولا سيما اذا كان صاحب الكلم مقتدرا على الابانة عما يعتلج في ثنايا نفسه • والمتنبي اقدر على الافصاح عما تمور به نفسه ، ولنقرأ قوله :

من نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

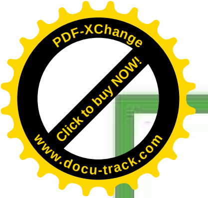
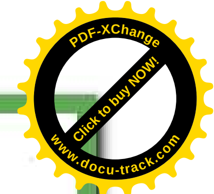
بقلبي وان لم أرو منها ملالة
وبي عن غوانيها وان وصلت صد

فالطابع النفسي في شعر المتنبي يستبينه القارىء الذي يروم اعطاء صورة ايقاعية للحالة الشعورية التي تتبجس معان تكاد تكون كلها سمة طاغية على الفن الشعري عند المتنبي • وهو صورة مؤثرة وصادقة لتكوينه الوجداني العام وقد مكنته لغته العربية ــ وهو من ابنائها ــ بحكم طبيعتها ان يؤثر في قارئيه ويكاد يستدرجها ليعايشوه في نفس العصر وهذه قدرة قلما تأتت لشاعر غيره بحيث يؤثر فيمن يقرأ شعره يحس باحاسيسه • وشعر المتنبي في هذه الحالة هو في صورة ايقاعية ترسم ملامح شخصيته وتحدد معالم سجاياه اذ هو تمكن من ان يعكس دواخله النفسية مصوغة بألفاظ هي غاية في الدقة والتحديد •



خاتمة تحليلية

يستدل على الاديب من اثاره ٠ والتحليل النفسي يستهدى به في هذا المجال بوصفه وسيلة تتحرى ابعاد النفس من حيث هي نفس واقعية ومن حيث هي نفس مثالية ومن حيث كونها نفسا اجتماعية ، والنفس المبدعة ــ ونفسية المتنبي هنا مضرب يمكن الركون اليه بكل اطمئنان ــ تنهض دليلا شاخصا على صاحبها ٠ وان التحليل النفسي يلقي اضواء على العمل الذي يحكي شخصية الفرد الذي حقق ذلك العمل الايجابي البناء ٠ وهنا يمكن ان نثير سؤالا بين شخصية المتنبي ومضمون انتاجه الشعري ، وفي هذا المجال يمكن ان نقول بان اراء التحليل النفسي تؤكد على العلاقة بين القيم المتضمنة في شعر المتنبي وبين شواخص ذاته النزاعة الى الطموح ٠ وعندما ندرس جانب الابداع عند المتنبي نجد انه قد تعددت منادحه وكل نهج من هذه المنادح ارتبط بعبقرية المتنبي من ناحية ، وبنظرته التبصرية الاجتماعية فيما كان ينزع اليه ٠ فالحرمان والموهبة عنصران اساسيان في ذات المتنبي لاريب ٠ وقد نشطت الموهبة فابدع شعرا ، ولكن شعره يمكن ان يعد مادة تستقطب المختصين من الدراسات النفسية مثلما هي عنصر استقطاب للمختصين في الادب العربي ٠ اذ ان المتنبي كان يسعى من خلال خياله الخصب الى ارواء ضمأه النفسي المشبع برغباته وطموحاته وفي هذه الحالات نجد ان المتنبي قد تسامى في شعره في مواطن وتالم في مواطن وندب ذاته في مواقف ٠ وان ما جاء به من خلق في شعره كأنه اراد ان يعوض به عن (عوز الحياة) وكأنه كان يرمي الى اطلاق شحنات نفسية حبيسة تترامى متأججة بحيث نجد الصياغة من القوة المتناهية مما يعكس قوة شخصية المتنبي ، ذلك لان التحليل النفسي يقول ان قوة الاثر الادبي والفني والفكري انما يعكس شخصية صاحبه ٠ وقد اراد المتنبي بشعره ان يخفف على ذاته شقاء الحياة ٠ وقد يكون هناك

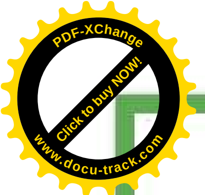
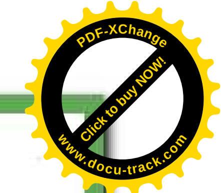
من الادباء أو الشعراء من يجعل شعره وقاءاً يتوارى خلفه فهو يستمد مادته من الحياة ولكنه يحجب بشعره رؤيته عن واقع الحياة .

اما المتنبي فأنه جعل من شعره اطلالة ينفذ من خلالها الى معترك الحياة ، ولهذا فهو قد مازج بين اعتقالاته النفسية وبين العنت الذي لاقاه في الحياة . وكثيرا ما نجد (الانا العليا) عند المتنبي متفاعلة على نحو يكاد ينطقه بالشعور بالهجر من الاخرين وباللاامان من الحياة وبالقصور لعدم تحقيقه مطامحه وبالشك والريبة فالتقصير الذاتي واشتطاط الحياة ولكنه يلتفت الى ذاته فينضو عنها ، هذه الغباشات فيلقي بها الفاظا يرشق بها اولئك الذين حولوا دون طموحاته . وكان من قوته البيانية ومطاوعة اللغة لفكره قد هيأت له سلاحا يدرا به تخرصات خصومه ، ولهذا فانه كان في بعض المواقف يكاد يتطرف في اثبات قوة شخصيته . ومن يقرأ شعره لا يعدم على ذلك التمثل بالامثال الكثيرة . ونجد احيانا تجانسا بين شخصيته وقوله ، ونجد احيانا نوعا من التناقض ، وفي الامثلة التي كنا قد اشرنا اليها من قبل ، وفي ديوانه ما يعزز هذا الرأي . فعلم النفس في هذه الحالة يؤمن على موهبة المتنبي ، وهو في الوقت نفسه يكشف عن منازع الانا الاعلى عنده الذي يجعله يعيش حياة نفسية قد يتمثل فيها التجانس والانسجام احيانا وقد يبدو عليها شيء من الصراع النفسي الذي ينعكس على علاقته الاجتماعية وعلى صلته بالحياة من جهة أخرى .

الدراسات النفسية للاثار الادبية تستلهم جميع النظريات السايكولوجية التي تعنى بدراسة الفن او الادب أو الشعر واختلاف هذه النظريات يرجع الى وجهات نظر القائلين بها ، فنظرية يونج مثلا تخالف نظرية فرويد وادلر ، ونظرية ادلر تؤكد على جانب يغاير ما اكد عليه كل من فرويد ويونج . واصحاب النظرية الاجتماعية المحدثين ومنهم مثل أريك فروم واريك اركسن تباين نظريات النفسانين المذكورين من قبل . وان كثيرا من الدراسات السايكولوجية للاثار الادبية تعنى بالربط بين الاثر

الادبي وشخصية مؤلفه وان في الكاتب المبدع نجد دائما صبوة الى الانطلاق من شخصيته اذ انه يحاول التحــرر كثيرا او قليلا من اهابه ليندس في ذوات غيره وكأنه يريد ان يستقرأ بواطن الناس ويريد ان يجسم مشاعرهم واحاسيسهم على هذا الاساس . ولهذا فان اثاره كثير اما تمثل اكثر من شخصيته كما يمكن ان تكون اكثر من شخصيته أو أقل منها . ورب وجوه من الحياة النفسية يصورها مبدع كالمتنبي ويتجاوز فيها المدى أو يقصر به الشوط ولكن المتنبي كان دائما من حيث الخيال والطموح ابعــد من المرامي التي كان يتوقعها . ولهذا جاء شعره مصداقا لانطلاقات نفســه وهنا نجد ان علم النفس الذي يوصف احيانا بـ (علم الطباع) يعبر عن مكنونات دفينة قد يحاول الشاعر أو الاديب ان يرسمها رسما باللفظ ولكنه لفظ رمزي وهذا ما نجده لدى المتنبي اذ انه صرح اطوارا ولمح احيانا وهو يتوخى الرفعة الاجتماعية لشخصيته ارضاءاً لما كان يرمي اليه ولهذا فانه كان في شعره مفرطا في الفعالية واحيانا في الانفعالية بعيدا عن اللافعالية وهذا مما يتيح لنا ان نصف شعره بانه من النوع المفعم بالنزعة الهجومية التهجمية وقد اشرنا من قبل الى ان هذا النوع من المنحى السلوكي انما يكشف عن احباطات لكنها احباطات جاءت تعبيرا عن ابداع وكان يحلم في حياته في ان يتبوء ما كان يرمي اليه ولكن سعيه المتعجل احيانا قد يكون سببا في قتل الحلم الذي وئد في نفسه بعد ان كان يتوخى له الانطلاق في دنيا الحياة . وكانت نفس المتنبي تواقة الى أن تستجمع في هويتها الروح العلمية غير انــه واجــه ما حال في الحياة دون ما يسمى في علــم النفس (بالطموح المتشوف) . بيد أن تساميه قد خلق من فطرته فضلا ، وجسد من شخصه نيلا ، وجعل من سلوكه اعتدالا . ومن روض نفسه من الناس على ارتضاع محامد المعالي بأباء وشمم يكن له في تصفية الاخلاق وتزكية الضمير ما يشفع له في درء تخرصات الخراصين المتقولين ممن ينغسون عليه نعمة الوجاهة من الحاسدين .



الهوامش و المراجع

١ ـ يونج ، كارل كوستاف · الخلق والابداع · نيويورك ، ١٩٣٢
أنظر كذلك :

٢ ـ الدروبي ، سامي · علم النفس والادب · دار المعارف · مصر ، ١٩٧١ ·

٣ ـ سعيد ، علي احمد (ادونيس) · ديوان الشعر العربي ، الكتاب الثاني · المكتبة العصرية · بيروت · الطبعة الاولى ، ١٩٦٤ ·

٤ ـ العقاد ، عباس محمود · ساعات بين الكتب (مع المتنبي) · دار الكتاب العربي · بيروت ، ١٩٧٠ ·

٥ ـ د· حسين ، طـه · مع المتنبي · دار الكتـاب اللبناني · المجلد السادس · بيروت ، ١٩٨٣ ·

٦ ـ الملاح ، عبدالغني · المتنبي يسترد اباه · بغداد ، ١٩٧٥ ·

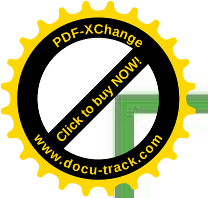
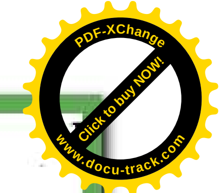
٧ ـ ابن جني ، ابي الفتح عثمان · ديوان ابي الطيب · دار الشؤون الثقافية · بغداد ، ١٩٨٨ ·

٨ ـ البرقوقي ، عبدالرحمن · شرح ديوان المتنبي ، الجزء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ · دار الكتاب العربي · بيروت ، ١٩٣٠ ·

٩ ـ اليازجي ، ناصيف · العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب · دار القلم · بيروت ·

١٠ـ سويف ، مصطفى · مقدمة لعلم النفس الاجتماعي · مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ·

١١ـ ادلر ، الفريد · معنى الحياة · ترجمة محمود هاشم الودرني · مؤسسة دار الكتاب الحديث · الطبعة الاولى ١٩٨٤ ·

١٢ـ

12— J. P. Chaplin, Dictionar psychology. Dell, publishing House, New york (1970).

١٣ـ فرويد ، سيجموند · ثلاث مباحث في نظرية الجنس · ترجمة جورج طرابيشي · دار الطليعة · بيروت · الطبعة الاولى ، ١٩٨١ ·

١٤ـ د· اي· شنايدر · التحليل النفسي والفن · ترجمة يوسف عبدالمسيح ثروة · دار الشؤون الثقافية · بغداد ، ١٩٨٤ ·

١٥ـ العقاد ، عباس محمود · ساعات بين الكتب (الغرور) ·

١٦ـ فرويد ، آنا · الأنا واواليات الدفاع · ترجمة جورج طرابيشي · دار الطليعة · بيروت · الطبعة الاولى ١٩٨٣ ·

١٧ـ د· ياسين ، عطفوف محمود · دراسات سايكولوجية معاصرة · مؤسسة نوفل · بيروت · الطبعة الاولى ١٩٨١ ·

تم بحمد الله



البيداء للنشر الالكتروني

Albaydaa e Publisher®

Wipo © international con

baydaa.publ@yahoo.com

